

ابن طباطبا « والتشبيهات على ضروب مختلفة . فمنها : تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيه به معنى ، ومنها تشبيه به حركة وبطأ وسرعة ، ومنها تشبيه به لونا ومنها تشبيه به صوتا . وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض ، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوى التشبيه وتؤكد الصدق فيه ، وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له » (١٤١) أما قدامة فيقول : « إنه من الأمور المعلوم أن الشيء لا يُشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات إذ كان الشيعان إذا تشابها من جميع الوجوه ، ولم يقع بينهما تغير البتة اتحدا ، فصار الاثنان واحدا ، فبقى أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها ، واقتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها . وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها ، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد » (١٤٢) فهذا النص كما ترى يتضمن فكرتين أولاهما أن الأمرين اللذين نعقد التشبيه بينهما لا بد أن يكون بينها اتفاق في بعض الوجوه أو الصفات ، واختلاف في أخرى وهذه الفكرة تضمنها كلام المبرد ، الفكرة الثانية انه كلما كثرت مواضع الاشتراك بين طرفي التشبيه زاد ذلك في حسنه وهذه الفكرة تبلو صريحة في عبارة ابن طباطبا . ولا ينال كل ذلك بالطبع من جهد قدامة الكبير في بلورة كثير من الصور البلاغية .

ومهما يكن من أمر فإن كلا الكتاين السابقين « البديع » و « نقا الشعر » بأسلوب تأليفهما القائم على التصنيف والتبويب للفنون البلاغية كانا خطوتين متقدمتين على طريق البحث البلاغى المنظم ، مضى على أثرهما بلاغى آخر هو أبو هلال العسكري (ت ٣٩٦ هـ) في كتابه « الصنائع » ؛ فقد اتبع في هذا الكتاب نفس النهج الذى اتبعه الكتاين السابقان من حيث التنظيم والتبويب ، أما من حيث المادة العلمية فقد أفاد من هذين الكتاين كما أفاد من مؤلفات الذين سبقوه في الميدان كالجاحظ وابن قتيبة والرماني ، والآمدى (ت)

(١٤١) عيار الشعر (شرح وتحقيق عباس عبدالساتر ، دار الكتب العلمية . لبنان) ص ٢٣ .

(١٤٢) نقد الشعر ص ١٠٩ .